

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

{ والفتح } قال جار الله : المعنى نصر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على العرب أو على قريش وكان فتح مكة لعشر ماضين من رمضان سنة ثمان ، ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب ، وأقام بها خمسة عشر ليلة ثم خرج الى هوازن وغطفان ، روي ذلك في الكشاف ، وقال الحاكم : السبب في فتح مكة لما صالح رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قريشاً بالحديبية وكان رئيس القوم أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو ، ودخلت خزاعة في حلف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ودخلت بنو بكر في حلف قريش ، وكان بينهما شرٌّ في الجاهلية حجر عنه الاسلام ، ثم وقعت بين بني بكر وخزاعة فقال : فأعان قريش بنو بكر سرّاً وأصابوا منهم ، ونقضوا عهد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : فخرج عمرو بن سالم الى المدينة ودخل على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو في المسجد فأخبره بخبرهم وأنشد الأبيات التي منها :
لا هُمُ ابني ناشدُ محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
ان قريشاً اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقلك المؤكدا
وفيها وقتلونا ركعاً وسجداً ... وخرج بديل بن ورقاء فأخبر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بما أصيب منهم ، فوعده رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) النصر ، وعلمت قريش بالنقض وندموا وبعثوا أبا سفيان الى المدينة ليؤكدوا العهد ، فدخل على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والتمس منه ذلك فلم يجبه ، فجاء الى أبي بكر وعمر ليسألان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلم يجيباه وأتى علياً وسأله أن يكلم رسول الله فآبى ، فقال : يا ابا الحسن فأشر علي فقال : ما أعلم شيئاً ولكنك سيّد بني كنانة فقم فأخبر بين

الناس أن العهد ثابت ، ففعل ورجع الى مكة فأخبرهم بالقصة ، فقالوا له لعب بك علي ابن أبي طالب ، وأمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالجهاد لحرب مكة وجهاز الناس ودعا الله تعالى فعميت عليهم الأنباء وكتب خاطب ابن ابي بلتعة اليهم بالانذار وجاء الوحي الى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فبعث علياً والزبير وردوا الكتاب ، وخرج في شهر رمضان قاصداً مكة في سنة ثمان في عشرة آلاف ، وخرج في تلك الليلة أبو سفيان وبديل ابن ورقاء والحكم بن حزام يتجسسون الأخبار ، وخرج العباس على بغلة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلقبهم بالادراك فجاء بأبي سفيان في قصة طويلة ، وأسلم بعد ما خوَّف بالقتل ، ودخل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مكة وكان الفتح وأجمع أهل البيت والفقهاء أن مكة فتحت عنوة إلا الشافعي فانه قال فتحت صلحاً ، ففي فتح مكة نزل { إذا جاء نصر الله والفتح } ولما ظفر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بهم قالت العرب : اذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليست لكم منه يدٌ فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً ،